

بابا الفاتيكان في العراق.. رسالة تسامح في وجه التطرف

الزيارة فرصة ثمينة لإحياء التسامح في بلد بيئته ملغومة بنوازع التشدد الديني والطائفي



توثيق لحظة فارقة في تاريخ العراق

رموز عراقية تاريخية
شواهد على زيارة البابا

علي السيستاني في منزله دون تغطية إعلامية. ولا يظهر رجل الدين البالغ 90 عاما علنا ونادرا ما يستقبل الزوار، ما يجعل اللقاء إحدى أبرز محطات الرحلة البابوية.

ومن النجف ينتقل البابا إلى أور الواقعة في الصحراء، ويعود تاريخها إلى ما قبل المسيحية. وقد تأسست في القرن 26 قبل المسيح، وأصبحت مدينة رئيسية في الإمبراطورية السومرية الكلدانية القديمة.

وتتميز أور بالزقورة وهو هيكل متعرج يشبه الهرم تم كشفه في ثلاثينات القرن الماضي. ويعتقد أن أور التي تعني "بلدة" باللغة السومرية، هي المكان الذي ولد فيه النبي إبراهيم، في الألفية الثانية قبل الميلاد. وسيقيم البابا مراسم تجمع الأديان المختلفة مع بعض الأقباط الأصغر في العراق، بما في ذلك الإيزيديون والصابئة.

ثم سيتجه البابا إلى محافظة نينوى مركز الطائفة المسيحية في العراق وعاصمتها الموصل، وهي المكان الذي اختار داعش فيه الإعلان عن إنشاء دولة "الخلافة" في العام 2014.

وسيزور البابا كنيسة الطاهرة في غرب المدينة التي دمراها داعش. وتشير السجلات إلى أن الكنيسة تعود إلى القرن السابع عشر، لكن بعض المؤرخين يعتبرون أنها قد تكون عائدة إلى ألف عام.

خلال القتال في العام 2017، انهيار سقف الكنيسة لكن البابا الملكي والإبواب القديمة الجانبية سلمت، وتعمل اليونسكو حاليا على إعادة تأهيلها وأجزاء أخرى من تراث الموصل من كنائس ومساجد. وعلى بعد حوالي 30 كلم إلى الجنوب، تقع قرقوش المعروفة أيضا باسم بغدادية والحدانية والتي تتمتع بتاريخ طويل سبق المسيحية ولكن سكانها اليوم يتحدثون لهجة حديثة من الآرامية، لغة السيد المسيح.

بغداد - تتضمن زيارة البابا فرنسيس إلى العراق، التي تعتبر أول زيارة خارجية له منذ تقشي فايروس كورونا في إيطاليا، برنامجا حافلا يشمل توجهه إلى مواقع رئيسية سيؤورها.

ففي أول يوم له في بغداد، سيلقي البابا كلمة في كنيسة "سيدة النجاة" الكاثوليكية في الحي التجاري الرئيسي في الكرادة، التي اقتحمها متشددون إسلاميون في أكتوبر 2010، وقتلوا 44 من المصلين وكاهنين وسبعة من قوات الأمن، في واحدة من أعنف الهجمات على الطائفة المسيحية بالبلاد.

وتحمل الآن النوافذ الزجاجية الملونة في الكنيسة أسماء الضحايا فيما كتبت رسالة تحد فوق المذبح تقول: "أين نصرك يا موت؟" لكن أعداد المصلين تضاعف فيما تحيط الجدران الخرسانية بالكنيسة، ما يجعل الوصول إليها صعبا.

وقبل زيارة البابا، رسم فنان عراقي صورة للبابا على الجدران الخرسانية، إلى جانب حمامات بيضاء تمثل السلام واللون العلم العراقي.

وفي إطار تواصله مع المسلمين، يزور البابا مدينة النجف العائدة إلى 1230 عاما، والتي تعد العاصمة الروحية لمعظم الشيعة في جميع أنحاء العالم. ويضم الضريح المهيّب ذو القبة الذهبية قبر الإمام علي ابن أبي طالب صهر النبي محمد.

ولفترة طويلة كانت هذه المدينة تحت الحكم العثماني حتى 1915، عندما سقطت في أيدي البريطانيين الذين صدوا على الرغم من تمرّد رجال الدين المحليين.

وكان الرئيس الأسبق صدام حسين يقيد الطقوس والزيارات لهذه المدينة المقدسة، لكنها شهدت انتعاشا بعد الإطاحة به في الغزو الذي قادته الولايات المتحدة العام 2003.

وفي النجف، سيلقي البابا فرنسيس بالمرجع الشيعي الكبير آية الله العظمى

ففي أبو ظبي، التقى بابا الفاتيكان الشيخ أحمد الطيب إمام الأزهر المرجع السني الكبير للتوقيع على وثيقة تشجع على المزيد من الحوار بين المسيحيين والمسلمين.

ويأمل البابا أن تفتح رحلته إلى العراق بابا ممانلا مع المسلمين الشيعة هذه المرة البالغ عددهم نحو 200 مليون في جميع أنحاء العالم ويشكلون غالبية سكان العراق.

وفي إطار هذا الجهد، سيلتقي بالمرجع الشيعي الكبير آية الله العظمى علي السيستاني في منزله المتواضع في النجف. وقال ساكو إن البابا يأمل في أن يؤيد السيستاني رسالة أبو ظبي التي وقعها الطيب، إلا أن مصادر دينية في النجف نفت بشدة أن يوقع السيستاني على أي وثيقة.

ومع ذلك، سيكون اللقاء إحدى أبرز المحطات في هذه الرحلة الاستثنائية. وقال محافظ النجف لؤي الياسري إنها "زيارة تاريخية نتحدث عن زعيم طائفة دينية يتبعها 20 في المئة من سكان العالم". وأضاف "زيارته (البابا) تعني الكثير وزيارة قداسة البابا إلى آية الله العظمى علي السيستاني سيكون لها تأثير كبير".

يعانون من البشر، وهو سيقول كلمات قوية للعراقيين حيث ارتكبت في بلدكم جرائم ضد الإنسانية.

في العام 2003، عندما أطاح الغزو الذي قادته الولايات المتحدة بصدام حسين، كان المسيحيون يشكلون حوالي ستة في المئة من سكان العراق البالغ عددهم 25 مليون نسمة. ويتركز معظمهم في محافظة نينوى في شمال العراق حيث لا يزال كثيرون منهم يتحدثون الآرامية، لغة السيد المسيح.

لكن مع سيطرة الجهاديين التابعين لتنظيم داعش على نينوى واجتياحهم لبلدات مسيحية وخبروا سكانها بين اعتناق الإسلام أو الموت كان موقف البابا واضحا، حيث أيد استخدام القوة لوقف انتشار التنظيم ودرس إمكان السفر إلى شمال العراق للوقوف إلى جانب الأقلية المسيحية.

ولم تتحقق تلك الرحلة، لكن فرنسيس استمر في متابعة الوضع في العراق عن كثب، وأدان قتل المتظاهرين العزل خلال حركة مناهضة للحكومة واسعة النطاق اندلعت في العام 2019.

ورغم أن الزيارة تحمل الكثير من المعاني، غير أن الواقعية تقضي عدم تحميل أكثر من طاقتها، فمع أن للبابا مكانة عالية فهو لا يستطيع في الواقع إحداث أي أثر في الحياة السياسية في العراق بكل مشاكلها وتعقيداتها وتداخل المؤثرات الإقليمية والدولية فيها.

تأثير هائل

بعيد انتخاب البابا فرنسيس في العام 2013، حثه الأب لويس ساكو الذي عينه البابا لاحقا كارديناولا ورئيسا للكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، على زيارة العراق. وساكو هو الآن المنظم الرئيسي للزيارة.

وفي العام 2019، وجه الرئيس العراقي برهم صالح دعوة رسمية له، على أمل أن تساعد الزيارة العراق على "التعافي" بعد سنوات من العنف، لكن مع تقشي وباء كوفيد - 19 العالمي الذي أصاب إيطاليا في الصيف، ألغى البابا جميع رحلاته الخارجية اعتبارا من يونيو الماضي.

والبابا فرنسيس مؤيد صريح للحوار بين الأديان وقد زار الكثير من البلدان ذات الغالبية المسلمة، منها بنغلادش في العام 2017 وتركيا في العام 2018 والمغرب والإمارات في العام 2019.

رحلة البابا فرنسيس التاريخية إلى العراق نهاية الأسبوع الجاري سوف توفر دفعة روحية كبيرة للمسيحيين هم في أمس الحاجة إليها بعد معاناة طيلة قرابة عقدين من الزمن بسبب التوترات التي عاشتها البلاد، مع تعزيز جهود الفاتيكان لبناء الجسور مع دول منطقة الشرق الأوسط، وهي محاولة اعتبرها متابعون فرصة ثمينة لإحياء التسامح في بيئة ملغومة بنوازع التشدد الديني والطائفي.

بغداد - يصل البابا فرنسيس إلى العراق الجمعة المقبل في أول زيارة بابوية على الإطلاق إلى البلد الذي يعيش منذ سنوات حالة من الاضطرابات والانقسامات، بهدف تشجيع المسيحيين الضاربة جذورهم في القدم على الصمود بعد تراجع أعدادهم، وتعزيز تواصلهم مع المسلمين وربما سيضع ركائز جديدة مع الطائفة الشيعية التي باتت مهيمنة على الدولة.

وتأتي الزيارة التاريخية في وقت حرج بالنسبة إلى العراق الذي يشهد موجة ثانية من فايروس كورونا القاتل، وتجسد العنف مع إطلاق صواريخ واحتجاجات مناهضة للحكومة. ويحقق البابا بذلك حلما لطالما راود البابا السابق يوحنا بولس الثاني، الذي كان ينوي زيارة البلاد في 2000 لكن لطرف حظر الطيران في ذلك الوقت لم يتمكن من ذلك.

سند روحي

يدرك المسؤولون العراقيون كما البابا أنه لا مجال للعيش بين الطوائف والأديان والفرق المختلفة في العراق سوى بغرس قيم التعايش المشترك وإنهاء حمام الدم الطائفي الذي يحدث منذ سنوات. ومن هذا المنطلق كان إصرار البابا فرنسيس على زيارة هذه الدولة في محطاته التاريخية منذ توليه الكرسي البابوي في الفاتيكان.

وسيكون البابا أمام محاولة إحياء جذوة التسامح والأخوة الإنسانية في بلد سلك طريقا عكسية وسار نحو التشدد الديني والتعصب الطائفي اللذين انعكسا بوضوح على أوضاع العراقيين بمن فيهم أتباع الديانة المسيحية، التي يتوقع أنها ستتحمل لهم سندا روحيا ومعنويا دون أن يكون لها دور عملي في ترميم ما انكسر من أوضاعهم.

ويؤكد نجيب ميخائيل رئيس أساقفة أبرشية الموصل وعقرة للكلدان أن رسالة البابا من هذه الزيارة الاستثنائية مفادها أن الكنيسة تقف إلى جانب الذين

ويؤكد نجيب ميخائيل رئيس أساقفة أبرشية الموصل وعقرة للكلدان أن رسالة البابا من هذه الزيارة الاستثنائية مفادها أن الكنيسة تقف إلى جانب الذين

موجات الرحيل تهدد الوجود المسيحي في العراق

بغداد - تقلص عدد المسيحيين في العراق، خلال موجة هجرة بعد أخرى، فيما يحلم الباقون منهم في البلاد بالرحيل، فقد غادر بعضهم خلال الغزو الأميركي في العام 2003 وآخرون خلال الحرب الطائفية التي احتل خلالها جهاديون قراهم، وغيرهم بسبب الأزمة المعيشية الحالية.

وتغيب الإحصاءات الدقيقة حول العدد الفعلي للمسيحيين في العراق، لكن تناقصهم يبرز جليا بمجرد متابعة عدد المصلين في الكنائس وحتى بإغلاق بعضها، مثل كنيسة الثالوث الأقدس في منطقة البلديات شرق بغداد المخلقة منذ نحو خمس سنوات ولا تشهد احتفالات دينية إلا في مناسبات قليلة.

وهناك كنائس أُغلقت منذ عام 2007 ولم تفتح أبوابها من جديد مثل كنيسة قلب يسوع الأقدس للارمن الكاثوليك في الكرادة بوسط العاصمة البالغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة.

والآن، تعيش عائلات مسيحية عراقية كثيرة في كردستان العراق، أو في الأردن أو أستراليا أو غيرها من الدول، حينها إلى وطن ترفض في الوقت ذاته فكرة العودة إليه. وكل منها تروي قصصا قديمة ما حل بها بسبب الاضطرابات التي عاشتها البلاد خلال قرابة عقدين من الزمن.

ويعلق كل هؤلاء في الداخل والخارج أملا بأن يحمل لهم البابا فرنسيس الذي سيزور العراق هذا الأسبوع، كلمات معزية ومطمئنة، ولو أنهم لا يتعلقون بالأوهام، في ضوء الأزمات الأمنية والاقتصادية المتلاحقة والتوترات السياسية التي تعيشها البلاد.

ويقول سعد هرمز الذي كان يعمل سابقا سائق تاكسي في الموصل، وهو يعيش اليوم في

العظيمة". وتعرض للخطف في العام 2006 بعدما ترأس قداسا في بغداد. ويروي حنا كيف احتجز وتعرض لأمور عديدة بينها التعذيب والعزلة. وفي العام 2007، قتل عم وعمة طيبية الأستان رنا سعيد برصاص عشوائي أطلقه جنود أميركيون ردا على هجوم تعرضوا له ليلة رأس السنة في مدينة الموصل التي سيطر عليها تنظيم داعش المتطرف في عام 2014، لكن هذه الطيبة وزوجها الطبي البيطري عمار الكاس أصرا في حينه على البقاء في مدينتهما.

وعدم وجود محاسبية أو تطبيق أي عدالة في القضية دفعهما في 2008 إلى اتخاذ قرار الرحيل، فانتقلا إلى كردستان. وكانا يفاران أيضا من التوتر الطائفي و"مسلسل اغتيالات نفذتها مجموعات مسلحة" استهدف عدد كبير منها مسيحيين.

ويقول الأسقف الكلداني سعد سيروب حنا والذي عينته الكنيسة الكلدانية في السويد منذ 2017، إن الكثير من العراقيين بين أبناء رعيته في السويد لا يريدون العودة إلى العراق.

وولد حنا في بغداد وأرسل إلى السويد للاهتمام بأكبر تجمع كلداني في أوروبا قوامه نحو 25 ألف شخص وصلوا إلى البلاد في موجات على مدى العقود الأربعة الماضية. وعاش فترات

عنف كثيرة في العراق فخلالها كثير، وهو يصفها بـ"الفوضى

الحقوق والحريات بين جميع مكونات المجتمع، لكن ذلك لا يطبق بشكل كامل بسبب الفساد والمحاصصة وضعف تطبيق القانون.

وفي العام 2007، قتل عم وعمة طيبية الأستان رنا سعيد برصاص عشوائي أطلقه جنود أميركيون ردا على هجوم تعرضوا له ليلة رأس السنة في مدينة الموصل التي سيطر عليها تنظيم داعش المتطرف في عام 2014، لكن هذه الطيبة وزوجها الطبي البيطري عمار الكاس أصرا في حينه على البقاء في مدينتهما.

وعدم وجود محاسبية أو تطبيق أي عدالة في القضية دفعهما في 2008 إلى اتخاذ قرار الرحيل، فانتقلا إلى كردستان. وكانا يفاران أيضا من التوتر الطائفي و"مسلسل اغتيالات نفذتها مجموعات مسلحة" استهدف عدد كبير منها مسيحيين.

ويقول الأسقف الكلداني سعد سيروب حنا والذي عينته الكنيسة الكلدانية في السويد منذ 2017، إن الكثير من العراقيين بين أبناء رعيته في السويد لا يريدون العودة إلى العراق.

وولد حنا في بغداد وأرسل إلى السويد للاهتمام بأكبر تجمع كلداني في أوروبا قوامه نحو 25 ألف شخص وصلوا إلى البلاد في موجات على مدى العقود الأربعة الماضية. وعاش فترات

عنف كثيرة في العراق فخلالها كثير، وهو يصفها بـ"الفوضى

ب"الفوضى

زيارة البابا فرنسيس إلى العراق

أول زيارة بابوية على الإطلاق إلى هذا البلد

